(( **سِرُّ كَلَامِهِمْ فِي المَهْدِ** ))

د. عبدالله بن محمد حفني

إمام وخطيب جامع هيا العساف بالجميزة

موقع جامع هيا العساف : <http://www.hayaalassaf.com>

القناة الرسمية على اليوتيوب : https://www.youtube.com/channel/UCq3VB0Xi1Zorm3\_Hje4JaCw

(( الأولى ))

الحمد لله الولي الحميد، ذي العرش المجيد، فعالٍ لما يريد. سجَدَتْ له الأملاكُ في إكبارِ..

الحمد له ربِّ الكائنات جليلها ودقيقها، الواحدِ القهارِ..

وله المحامدُ يصطفي ما شاءه، والمكرماتُ، وعينُ كل فخار..

الحمد لله لا شريك له \*\*\* مَن لم يقلها فنفْسَهُ ظَلَمَا

وأشهد ألّا إله إلا الله وحده لا شريك له، ربكم ورب آبائكم الأولين، وأشهد أن نبينا وسيدنا محمداً عبده ورسوله .

صلى عليه ما نادى المنادي بحيَّ على الصلاة وبالفلاح..

له الصلوات تترا ما تهادت، إلى الأحياء ألسنةُ الصباح..

صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلم تسليما كثيرا.

ﭽ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﭼ الأحزاب: ٧٠ - ٧١

هل يمكن لطفل رضيع في المهد أن يتكلم بلسان فصيحٍ يُسمعه العقلاء، ويفهمه النبلاء؟ نعم ...

ﭽ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﭼ يس: ٨٢

الكلام في المهد من المعجزات، ولذا قال النبي في الحديث المتفق عليه : (( لَمْ يَتَكَلَّمْ فِي المَهْدِ إِلَّا ثَلاَثَةٌ: عِيسَى، وَكَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ جُرَيْجٌ، كَانَ يُصَلِّي، جَاءَتْهُ أُمُّهُ فَدَعَتْهُ، فَقَالَ: أُجِيبُهَا أَوْ أُصَلِّي، فَقَالَتْ: اللَّهُمَّ لاَ تُمِتْهُ حَتَّى تُرِيَهُ وُجُوهَ المُومِسَاتِ، وَكَانَ جُرَيْجٌ فِي صَوْمَعَتِهِ، فَتَعَرَّضَتْ لَهُ امْرَأَةٌ وَكَلَّمَتْهُ فَأَبَى، فَأَتَتْ رَاعِيًا فَأَمْكَنَتْهُ مِنْ نَفْسِهَا، فَوَلَدَتْ غُلاَمًا، فَقَالَتْ: مِنْ جُرَيْجٍ فَأَتَوْهُ فَكَسَرُوا صَوْمَعَتَهُ وَأَنْزَلُوهُ وَسَبُّوهُ، فَتَوَضَّأَ وَصَلَّى ثُمَّ أَتَى الغُلاَمَ، فَقَالَ: مَنْ أَبُوكَ يَا غُلاَمُ؟ قَالَ: الرَّاعِي، قَالُوا: نَبْنِي صَوْمَعَتَكَ مِنْ ذَهَبٍ؟ قَالَ: لاَ، إِلَّا مِنْ طِينٍ. وَكَانَتِ امْرَأَةٌ تُرْضِعُ ابْنًا لَهَا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَمَرَّ بِهَا رَجُلٌ رَاكِبٌ ذُو شَارَةٍ فَقَالَتْ: اللَّهُمَّ اجْعَلِ ابْنِي مِثْلَهُ، فَتَرَكَ ثَدْيَهَا وَأَقْبَلَ عَلَى الرَّاكِبِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ لاَ تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى ثَدْيِهَا يَمَصُّهُ، قَالَ: أَبُو هُرَيْرَةَ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ يَمَصُّ إِصْبَعَهُ ثُمَّ مُرَّ بِأَمَةٍ، فَقَالَتْ: اللَّهُمَّ لاَ تَجْعَلِ ابْنِي مِثْلَ هَذِهِ، فَتَرَكَ ثَدْيَهَا، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا، فَقَالَتْ: لِمَ ذَاكَ؟ فَقَالَ: الرَّاكِبُ جَبَّارٌ مِنَ الجَبَابِرَةِ، وَهَذِهِ الأَمَةُ يَقُولُونَ: سَرَقْتِ، زَنَيْتِ، وَلَمْ تَفْعَلْ)) غلمان ثلاثة تكلموا بكلامٍ بيّنٍ محكم ، وكشف كلّ واحد منهم عن باطلٍ وزورٍ ، لا كته الألسن في خيار عباد الله .

فتعالوا بنا بعيداً عن معجزة كلامهم في المهد ، فالله تعالى على كلّ شيءٍ قدير ، لكن دعونا نقف على القاسم المشترك بين هؤلاء الثلاثة الذين تكلموا في المهد .

فهناك عاملٌ مشترك ، وسرٌ عظيم ، قد اجتمع في قصص هؤلاء الثلاثة الرضع الذين تكلموا في المهد ، في عيسى عليه السلام ، وفي جريج ، وفي الطفل الرضيع .

إنه الدفاع عن العرض ، الذبّ عن الشرف .

العرض وما أدراك ما العرض ؟

فعيسى ابن مريم دافع عن فتاة عذراء عرفت بالطهر والعفاف ، ولكن الله ابتلاها ، فحملت بغلامٍ من غير أب ، ثمّ جاءت به قومها تحمله ، فتسلّطت عليها الألسن بالتقريع ، والتأنيب ، والقذف ، والبهتان ﭽ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﭼ مريم: ٢٧ – ٢٩ وهنا تأتي المعجزة ، وأنطق الله عيسى ابن مريم في المهد فقال : ﭽ ﮊ ﮋ ﮌ ﭼ مريم: ٣٠

الله أكبر نزّه الغلام جناب ربّه تعالى ، وبرأه من الولد ، وأثبت لنفسه العبوديّة لربّه ، ثمّ ذبّ عن عرض أمّه الشريفة الطاهرة ، فقال : ﭽ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﭼ مريم: ٣٠ - ٣٤

وهذا جريج العابد الصالح ، الذي حببت إله العبادة والخلوة بها ؛ ولكنه تأخر وتباطأ عن نداء أمه له ، فدعت عليه : (ألا يميته الله حتى يريه وجوه الزانيات) ، ومكر بنو إسرائيل بجريج ، وسلطوا عليه فتاة حسناء ، فأغرته بنفسها ، وجمالها ، وحسنها ، ولكنّه أعرض عنها وقال بلسان حاله: (إني أخاف الله رب العالمين) ، فكادت له تلك المرأة البغي ، ومكّنت نفسها من أحد الرعاة ، فزنا بها ، وحملت منه ، ووضعت غلاماً ، ثمّ زعمت أن هذا الغلام من جريج ، وهنا ثار بنو إسرائيل ظلماً وزوراً ، على جريج العابد ، وطردوه ، وقذفوه ، وضربوه ، وهدموا صومعته ، فَقَالَ: مَا شَأْنُكُمْ؟ قَالُوا: زَنَيْتَ بِهَذِهِ الْبَغِيِّ، فَوَلَدَتْ مِنْكَ ، قَالَ جريج العابد: أَيْنَ الصَّبِيُّ؟ فَجَاءُوا بِهِ، فَقَالَ: دَعُونِي حَتَّى أُصَلِّيَ، فَصَلَّى، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَتَى الصَّبِيَّ فَطَعَنَ فِي بَطْنِهِ، وَقَالَ: يَا غُلَامُ مَنْ أَبُوكَ؟ وهنا تحققت المعجزة ، ونطق الغلام في المهد ذبّاً عن عرض جريج العابد فقَالَ: فُلَانٌ الرَّاعِي، فانكشف مكرُ البغي ، ونصر الله عبده الصالح ، وحفظه من فتنةٍ قد أحاطت به.

وهذا طفلٌ ثالثٌ تكلّم في المهد بعدما كان يرضع من ثدي أمّه ، فَمَرَّ بِهَا رَجُلٌ رَاكِبٌ على دابة فارهةٍ ، وشارةٍ حسنة ، فَقَالَتْ أمه : اللَّهُمَّ اجْعَلِ ابْنِي مِثْلَهُ، فَتَرَكَ ثَدْيَهَا وَأَقْبَلَ عَلَى الرَّاكِبِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ لاَ تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى ثَدْيِهَا يَمَصُّهُ، - قَالَ: أَبُو هُرَيْرَةَ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ يَمَصُّ إِصْبَعَهُ - ثُمَّ مُرَّ بِأَمَةٍ وهو يضربونها ، ويقذفونها ويقولون: زنيتِ ، وسرقتِ وهي تقول: اللَّهُمَّ لاَ تَجْعَلِ ابْنِي مِثْلَ هَذِهِ، فَتَرَكَ ثَدْيَهَا، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا، فَقَالَتْ: لِمَ ذَاكَ؟ فَقَالَ: الرَّاكِبُ جَبَّارٌ مِنَ الجَبَابِرَةِ، وَهَذِهِ الأَمَةُ يَقُولُونَ: سَرَقْتِ، زَنَيْتِ، وَلَمْ تَفْعَلْ))متفق عليه .

**أقول قولي هذا واستغفروا الله العظيم**

(( الثانية ))

معاشر المؤمنين ..

هل تأملتم في كلام الثلاثة الذين تكلموا في المهد ؟ فقد ذبَّ كلُّ واحدٍ منهم عن عرض لم تدنّسه فاحشة ، ولم يمسسه سوء ، فالعرض ثمنه غالٍ ، وعاره ليس بعده عار .

العرض يهوي بأطول الناس أعناقاً ، وأعزّهم شرفاً

أيرضى أحدنا أن يتهم في عرضه ؟

أيرضى أحدنا أن يقذف في عرضه ؟

يرضى الغربي الكافر؟ نعم ....

يرضى الديوث الغافل ؟ نعم .....

لكنّ العربي والمسلم الحق لا ولن يرضى أن يتهم في عرضه فضلا أن يدنس في عرضه .

فللأعراض عند العرب قداسة ما خدشت في جاهلية ولا إسلام ، فالعربي لو عرضت عليه الدنيا بمنافعها على أن يبذل ذرة من عرضه لأباها ، وركلها بقدمه وآثر الذرّة من عرضه .

وأَتْرُكُ حُبَّهَا مِنْ غَيْرِ بُـغْضٍ

وَذَاكَ لِكَثْرَةِ الشُّرَكَاءِ فِيـــهِ

إِذَا سَقَطَ الذُّبَابُ عَلَى طَــعَامٍ

رَفَعْتُ يَدِي وَنَفْسِي تَشْتَهِيــهِ

وَتَحْتَرِمُ الأُسُودُ وُرُودَ مَـــاءٍ

إِذَا كَـانَ الكِلاَبُ ولغنَ فِيــهِ

وَيَرْتَجِعُ الكَرِيمُ خَمِيصَ بَـطْنٍ

وَلاَ يَرْضَى مُسَاهَمَةَ السَّفِيـهِ

الله أكبر ،، هكذا كانت العرب في جاهليتها تقدّس أعراضها ، بل كان العرب يئدن البنات خشية العرض ، وجاء النبي يهذّب أخلاقهم ، ويحفظ أعراضهم ، فقال في الحديث المتفق على صحته: "إِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ: عُقُوقَ الْأُمَّهَاتِ، وَوَأْدَ الْبَنَاتِ، وَمَنْعًا وَهَاتِ"

وذكر ابن الجوزي في المنتظم قصّة عجيبة في غيرة العرب على أعراضهم فقال : تقدمت امرأة إلى القاضي فادعى وليها على زوجها خمسمائة دينار مهرا، فأنكر الزوج، فقال القاضي لوليّها: شهودك، قَالَ: قد أحضرتهم، فاستدعى بعض الشهود أن ينظر إلى المرأة ليشير إليها في شهادته، فقام الشاهد وَقَالَ للمرأة. قومى! فقال الزوج: تفعلون ماذا؟ قَالَ [الوكيل] : نُرِيدُ أن تُسْفِرَ لنا عن وجهها حتى نعلم أنها الزوجةُ أم لا ؟ فقال الزوج: فإني أشهد القاضي أن لها علي هذا المهر الّذي تدعيه ولا يسفر عن وجهها، فَأُخْبرت المرأة بما كان من زوجها، فقالت: فاني أشهد القاضي أني قد وهبت له هذا المهر، وأبرأته منه في الدنيا والآخرة! فقال القاضي: يكتب هذا في مكارم الأخلاق. المنتظم (12/403)

معاشر المؤمنين ..

لنكن صرحاء لقد خلخل الإعلام الفاسد قداسة العرض في نفوس كثيرٍ من بني قومنا ، وتزعزع حجاب الفتيات ، وتساهل الأولياء والأمهات في حجاب الفتيات والبنات ، فظهرت الزينة والفتنة بجميع أشكالها ، وأصبحت الفتاة فاتنةً في لباسها ، وكلامها ، وحجابها ، وخروجها ، بعد ما استطاع أباطرة الشرّ والفساد من التفنّن في إفساد النساء فبإسم الزينة والتّجمل ترى لباسا كشفت المرأة فيه عن بطنها وصدرها وعنقها وظهرها ، فمن طويلٍ مفتوح حتى الفخذين إلى قصير حاسر عن الركبتين إلى شفاف يصف ما وراءه ، وضيقٍ يكشف حجم الأعضاء ، وعارٍ يكشف الصدر والظهر والذراعين والفخذين فوالله ما أدري ما الذي بقي ليستر عن الأنظار، فرحماك يا الله، وأقسم بالله وأنتم تشهدون والله على كلّ شيء شهيد، أن الألبسة العارية، والملابس الشّفّافة عمّت وطمّت في الوسط النسائي.

وأصبحت المرأة في هذا الزمن مرمى لحلائب السباع والذئاب لا تتهارش على رأسها، بل على الجزء الأسفل منها.

واستسلم كثيرٌ من بني قومنا لهذا الانهيار الأخلاقي ، وترك الحبل على الغارب للفتاة وحجابها ، وخروجها ، ولباسها ، فوقعت الكارثة ، وظهرت الفاحشة والفاجعة ، وطُعنت كثيرٌ من البيوت في أعراضها ،

صدق ابن القيم ~ وهو يقول : (وإذا رحلت الغيرة من القلب، رحلت منه المحبة، بل رحل منه الدين)

روضة المحبين ، ص274

إنّ الرجولة شخصيّة وغيرة، قبل أن تكون خشونة صوت، ولبس عمامة وثوب.

والله وتالله ما بلغ النّساء هذا الحدّ من السفور والتبرج والعري إلا بتساهل الرجال ، ولكن الله الموعد .

قال : (إِنَّ اللهَ سَائِلٌ كُلَّ رَاعٍ عمَّا اسْتَرْعَاهُ، حَفِظَ أمْ ضَيَّعَ، حَتى يسْألَ الرَّجُلَ عَنْ أهْلِ بَيْتِهِ)

رواه ابن حبان في صحيحه وصححه الألباني في الترغيب والترهيب رقم 1966 .

وربنا تعالى يقول في كتابه: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭼ النساء: ٣٤

ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭼ النساء: ٣٤

رسالة تكليفية واضحة ، يا أيها الرجل قوامتك على المرأة أمر رباني لا عُرف إنساني .

قوامتك على المرأة تكليف لا تشريف، رعاية وعناية لا تسلط وغواية.

ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭼ النساء: ٣٤

شاهدٌ لعلم رباني بوظائف الرجل والمرأة، فالله الذي خلق الرجل هو أعلم بما يصلُح له، والذي خلق المرأة هو عالم بما يصلح لها.

ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭼ النساء: ٣٤

ليس صوتًا تجلد به المرأة، ولكن إكليلاً تحفظ به حقوقها، فللزوج حقٌ شرعيٌ على المرأة ، وللمرأة حقٌ شرعيٌ على الزوج .

**انتهت الخطبة**